

يصف احد كبار السن من اهالي القرية المعركة قائلاً:

"تقع زرعين على مفترق طرق بين القرى المجاورة، في منطقة استراتيجية والسيطرة على زرعين تمهد الطريق للسيطرة على القرى المجاورة، ومن هنا دفع اليهود باعداد كبيرة من المقاتلين ودخلوا زرعين من الناحية الجنوبية واثناء دخولهم تصدى لهم اهالي القرية وبدأت المعركة واستشهد عدد من المناضلين القادمين من الدول العربية الذين استبسوا بالدفاع عن القرية ومنهم "عبيد"، و "بدوي" و "عبدالله" (١٠).

ويتابع رجل اخر من اهالي القرية:

"احتل اليهود بعض البيوت الواقعة في اطراف القرية، كما احتلوا المدرسة واستحكم احدهم في موقع على سطح المدرسة وبدأ باطلاق نيران مكثفة جداً على القرية، حتى ظن بعض اهالي القرية والقرى المجاورة ان النيران تسقط من السماء مما ادخل الرعب في قلوب سكان القرية" (١١).

اشترك رجال القرية ونسائها في تلك المعركة قبل الرحيل، وكان للنساء دور كبير في اطعام المناضلين ونقل السلاح وفي تشجيع الشباب على الهجوم والاستبسال.

ويعتقد سكان القرية انهم انتصروا في تلك المعركة على اليهود، وان قائد اليهود المهاجم هرب، وان ابناء القرية المناضلين قد قاموا بملاحقة اليهود الى خارج القرية، ويقول ابناء القرية انهم قتلوا حوالي ١١٢ يهودياً في تلك المعركة. ويصف احدهم منظر القرية بعد انسحاب اليهود:

"عند طلوع الفجر وانقشاع الظلام ادركنا قوة وكثافة النيران التي اطلقت على القرية، وذلك من كثرة ما شاهدناه من اكوام الرصاص الفارغ عند المواقع التي استحكم فيها اليهود. كما اننا لم نجد جثث اليهود القتلى حيث تمكنوا من اخلاء الجثث قبل انسحابهم" (١٢).

٢- الرحيل :

لم يستطع اهل القرية البقاء فيها بعد تلك المعركة الاخيرة فقد رأوا اعداد اليهود

انسحب اليهود من جنين بعد ان احتلوا قرى مرج بن عامر، واهمها الفولة والعفولة وزرعين، حاول الفلسطينيون المسلمون رسم الخطط لاسترداد المزار وزرعين، وتقدم اربعمائة مناضل منهم في مساء الحادي عشر من شهر تموز ١٩٤٨ حتى اصبحوا قاب قوسين او ادنى من زرعين، وكان يقودهم فوزي الجرار، فرأوا ان العراقيين ينسحبون ولما استطلعوا الخبر، قيل لهم ان الامر يقضي بانسحابهم الى نابلس، سحب القائد العراقي جنوده من جنين الى منطقة كفر قاسم، سحبها غير عابىء برجاء من تقدم اليه من الرجال من عيون البلاد وسكان جنين.

اما الذي امر بانسحابهم فهو القائد العراقي نورالدين محمود باشا، الذي وصل والمعركة قائمة واصدر اوامره بوقف القتال هناك"، ويقول الرواه الذين شهدوا تلك المعركة وهم كثيرون ان الجيش العراقي * لو ثابر في زحفه يومئذ وساعد الفلسطينيين لاحتل العرب العفولة والفولة وسائر المستعمرات اليهودية الكائنة في مرج بن عامر، ولقطعوا كل اتصال كان بين تلك المستعمرات واخواتها المنتشرات في غور بيسان.

بقيت زرعين والمزار ونورس من قضاء جنين بيد اليهود، والتي كانت من المناطق التي احتلها اليهود قبل الهدنة الاولى اي قبل ١٩٤٨/٦/١١ وبعد انتهاء الانتداب. وهذه المناطق هي زرعين، فقوعة، اللجون، مصمص" (١٧).

* كان الجيش العراقي مسؤولا عن منطقة جنين ونابلس بالاضافة الى بعض فرق من الجيش السوري، فقد صدرت اوامر من رئيس اركان الجيش العراقي ورئيسه الامير عبدالاله بانسحاب القوات العراقية الى منطقة نابلس وهي مخصصة للعرب بموجب قرار التقسيم، في حين ان منطقة جسر المجمع والعفولة وحيثا كانت من نصيب اليهود في قرار التقسيم. وهذا هو الدافع الحقيقي لانتقال القوات العراقية الى لواء نابلس في ١٩٤٨/٥/٢١، تاركة وراءها في جسر المجمع بعض القوات الرمزية لحماية ذلك الموقع، وانتشرت القوات العراقية في لواء نابلس (المثلث). وطد الجيش العراقي اقدامه في المثلث العربي ولم يعبر حدود التقسيم. ولم يشتبك مع اليهود في اية معركة جدية طوال مدة الحرب في المرحلة الاولى، باستثناء الهجوم المعاكس الذي قام به فوج عراقي واسترد فيه مدينة جنين التي كان اليهود قد احتلوا في ٤٨/٦/٢ وقد كانت تلك المعركة مشرفة للضباط والجنود العراقيين (١٢).

تروى الذاكرة الشعبية لاهالي القرية انه في اوائل حزيران عام ١٩٤٨ رحل اهالي القرية عن زرعين، رحلوا جماعة وليس افراداً، وفي السادس من حزيران، رحل جميع المناضلين الذين كانوا متواجدين في القرية، رحلوا جميعاً في هدوء وسلام:

"تركنا القرية طوعاً، وبقي في القرية عدد قليل جداً من الحراس المناضلين من العرب القادمين للدفاع عن فلسطين" (١٨).

ويفسر اهل القرية سبب رحيلهم هو الخوف وسماعهم بالمجازر والمذابح وسقوط قرى نورس والمزار والجلمة ومقيبلة، وعندما علم يهود المستوطنات المجاورة ان زرعين فرغت تماماً من أهلها دخلوها اثناء الليل

"واستعملوا طائرة في قصف القرية قبل دخولها، لقد شاهدت ذلك من سطح المنزل الذي كنت انام فيه عند رحيلي الى قرية قباطية" (١٩).

ويروي اهل القرية بحماس شديد عن مناضل عربي اتى مدافعاً عن القرية من قرية دير الزور في سوريا سعدون، ويسردون الكثير من القصص عن استبساله في الدفاع عن القرية، ويذكر اهل القرية الذين استشهدوا من ابنائهم، منهم: محمود الكاسب ونمر الشلبي، مصطفى الحاج عبد، يوسف الحاج حسن، حسن الحاج مصطفى، يوسف ابو سرية.

ويورد الدباغ اسماء شهداء زرعين ومواقع استشهادهم:

✓ جميل رجا حسن من زرعين في شارع العراق بتاريخ ٤٨/٣/٢٢.

✓ محمد حسن عقيلة من زرعين في حيفا بتاريخ ١٩٤٧/١٢/٣١.

✓ محمود السالم من زرعين في اواخر نهاية شهر ١٩٣٦/٤.

شهداء لم يعرف اسماءهم عددهم ٢ وهم من زرعين، مكان استشهادهم زرعين بتاريخ ١٩٤٨/٤/٢١.

ومن شهداء زرعين ايضاً: محمود خضر استشهد قرب العفولة وهو من قدامى القساميين قاد فصيلاً من الثوار وابلى بلاءً حسناً واستشهد في معركة "فراضي" قرب الرامة على طريق عكا - صفد، عرف بالتقوى. وناجي ابو زيد، من زرعين وسكان حيفا، قاد

فصيل الناصرة في ايام الثورة وابدى شجاعة فائقة ثم سكن في عمان وتوفي فيها (٢٠).

بعد رحيل اهالي القرية قام اليهود بتدمير القرية كلياً:
"لم يدخل اليهود القرية الا بعد خمسة عشر يوماً من حصارها وقصفها بالطائرات" (٢١).

بعد الرحيل:

معظم اهالي القرية رحلوا الى قرية قباطية وعرابة وعنزة وبعد مدة وجيزة وعلى اثر ملاحقة اليهود لاهالي تلك القرى واهمها قباطية رحل اهالي زرعين مرة اخرى الى سهل عرابة "اقمنا خيم من الخيش في سهل عرابة وكان معنا انعامنا".

ويروي احدهم:

"عند سقوط قضاء الطيرة، وقضاء جنين في ايدي اليهود، ارسل الانجليز جنودهم للقيام بعملية تسجيل العائلات المهجرة من قراها وذلك من اجل عمليات التموين والاغاثة. اما نحن بعض اهالي زرعين فقد سمعنا عن مخيم مهجور من مخيمات الجيش الانجليزي يقع في مدينة جنين فذهبنا الى ذلك المخيم فوجدنا بيوت مهجورة مفتوحة السقف في معظمها وشبابيكها من الزينكو واتخذنا من هذا المخيم مسكناً لنا" (٢٢).

ورحل بعض اهالي زرعين الى السيلة وبعضهم الى اليامون ويتحدثون عن علاقتهم ببعضهم البعض وعن الاخوة الكبيرة والتلاصق والتلاحم فيما بينهم بفخر واعتزاز كثيرين ويقال في هذا "العزاء لاهل زرعين والفرح لاهل زرعين".

بعض منهم رحل الى شرقي الاردن، عمان، الرصيفة، الزرقاء، وشكلوا رابطة في عمان لاهالي زرعين ويقول مؤسس هذه الرابطة ان اهالي زرعين المتواجدين في الخارج يحضرون اجتماعات الرابطة باستمرار وانتظام، ويقال ايضاً ان اغلبهم من المتعلمين، مهندسين واطباء.

تسكن ٢٨ عائلة من زرعين في مخيم جنين، من مختلف حمائل القرية، جميع حمائل القرية تربطهم رابطة النسب والقربى لذلك فهم متعاونون متلاحمون. وهم يفخرون كثيراً بمناضل من زرعين ضحى واستشهد في حرب ١٩٦٧ وهو الشيخ/حسن ابو سرية (١٨).

المراجع:

١. الدباغ، مصطفى: بلادنا فلسطين، كفر قرع، دار الهدى، (ج١، ق٢)، (ج١، ق١)، (ج٢، ق٢).
٢. التل، عبدالله: كارثة فلسطين، القاهرة، دار القلم، الجزء الاول، تشرين ثاني ١٩٥٩.
٣. توما، اميل: فلسطين في العهد العثماني، القدس، دار الفجر للطباعة والنشر، تشرين ثاني، ١٩٨٢، ص ٨٨.
٤. الحوت، بيان نويهض: فلسطين "قضية، شعب، حضارة"، بيروت، دار الاستقلال للدراسات والنشر، الطبعة الاولى ١٩٩١.
٥. الحموي، ياقوت: معجم البلدان، خمسة اجزاء، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨.
٦. الحوت، بيان نويهض: وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨ - ١٩٣٩ (من اوراق اكرم زعيتر)، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ١٩٧٩.
٧. الخالدي، احمد سامح: اهل الحكم والعلم في ريف فلسطين، عمان، دائرة الثقافة والفنون ١٩٦٨.
٨. دفتر مفصل ناحية مرج بن عامر وتوابعها ولواحقها التي كانت في تصرف الامير طره باي سنة ١٩٣٨، عمان منشورات الجامعة الاردنية، ١٩٨٩.
٩. سفر الملوك الثاني: ١٧:٩.

١٠. شولش، الكزاندر: تحولات جذرية في فلسطين ١٨٥٦ - ١٨٨٢، كفر قرع، دار الهدى، الجامعة الاردنية ١٩٨٨، ط٢.

١١. صايغ، روز مارين: الفلاحون الفلسطينيون من الاقتلاع الى الثورة، القدس، منشورات صلاح الدين، ١٩٨٢.

١٢. عارف، العارف: نكبة فلسطين والفردوس المفقود، كفر قرع، دار الهدى، ط١، ١٩٥٦.

١٣. الموسوعة الفلسطينية: دمشق، هيئة الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني، المجلد الرابع، الطبعة الاولى ١٩٨٤.

١٤. الموسوعة الفلسطينية: بيروت، هيئة الموسوعة الفلسطينية، المجلد الاول، القسم الثاني، الطبعة الاولى عام ١٩٩٠.

تقارير غير منشورة:

١. حامد، سالم، تقرير حول التاريخ الحضاري الاثري لقرية زرعين، دائرة الاثار، جامعة بيرزيت، (٣ صفحات)، نيسان ١٩٩٢.

٢. استمارة مشروع دليل القرى المدمرة (زرعين): مركز الابحاث، جامعة بيرزيت ١٩٨٧.

Excavations and Surveys in Israel, 1989. .١

Conder, C. and H. Kitcherne, The Survey of Western Palestine, .٢
Samaria, London, The Committee of Palestine Exploration Fund.
1882. Vol. II. XL.

Government of Palestine, 1944, Schedule of Historical Records and .٣
Sites, Palestine Gazette Supplement. No. 1375.

Huetteroth, W and Abdulfattah K, Historical in the late 16th. .٤
century, Erlanger: Erlanger Geographische Arbeiten. Sanderband
5, 1977.

Robinson, Biblical Researcher in Palestine, Boston, Crocker and .٥
Bnewster, No.1, 1857

Fireston, Ya'akov, Frop-sharing Economics in Mandatory Palestine, .٦
pt 2, Middle Eastern Studies, XL, 1975.

Mills. E., Census of Palestine 1931, No. 86, Jerusalem, Greek .٧
Convent and Goldberg, 1932.

المصادر الاولية:

الاسم	العمر	المكان	تاريخ المقابلة
١. مقابلة شفوية مع احمد الداوود	٥٦ عاماً	مخيم جنين	١٩٨٦/٥/١٤
٢. احمد حسين ابو البان،	٧٠ عاماً	مدينة جنين	١٩٨٦/٥/٣٠
٣. احمد عيسى (الفايد)	٦٥ عاماً	مخيم جنين	١٩٩٣/٤/١٢
٤. باسم نظمي عبدالهادي	٥٥ عاماً	مدينة نابلس	١٩٩٣/٤/٢٥
٥. جمال قاسم عبدالهادي	٨٥ عاماً	مدينة جنين	١٩٨٨/٥/٢٠ (متوفي).
٦. خليل حلمي عبدالهادي (متوفي).	٧٥ عاماً	مدينة نابلس	١٩٨٨/٦/٢٥
٧. عبدالرحيم الشلبي	٨٥ عاماً	مخيم جنين	١٩٨٦/٥/٢٥
٨. عليا الحاج جبر الحاج ابراهيم	٦٥ عاماً	مخيم جنين	١٩٨٦/٦/١٣
٩. علي الرحال (الفايد)	٨٥ عاماً	مخيم جنين	١٩٩٣/٤/١٥
١٠. محمود العلي مطاحن	٧٥ عاماً	مخيم جنين	١٩٨٦/٦/٢٥
١١. مصطفى علي جبر	٨٥ عاماً	مخيم جنين	١٩٨٦/٦/٢٣